بحث فى الموسيقى الشرقية

للأستاذ نقولا الحداد

بقية ما نشر فى العدد الماضى

السلم العربى

ذكرت آنفا أن لكل لحن من الألحان العربية سلما خاصا ولكن لها سلما عاما أصيلا تتفرع منه درجات أنصاف ودرجات أرباع . وهذه الأنصاف والأرباع تستعار من الدرجات الأصيلة بالضغط على الوتر بالإصبع، أو باستعمال « البكلة » فى القانون التركى، أو باستعمال ضغط الإصبع ، أو بدوزنة القانون دوزنة خاصة حسب اللحن المراد . وهذا ما يجعل الموسيقى العربية ممتازة على الموسيقى الغربية بحيث تصدر الألحان المختلفة محاكية الانفعالات النفسانية . الأمر الذى ليس له مشابه فى الموسيقى الأفرنكية . وتشترك معها فى هذه المزية الموسيقى التركية . وربما كانت الموسيقى اليونانية أميز منهما فى هذا القبيل لأن فى سلمها ♯ و ♭ من الدرجة علاوة على النصف والربع كما يقال

والموسيقى العربية اقتبست كثيرا من الموسيقى التركية وهذه من اليونانية الأصيلة المسماة «البيظنطية» وفى ألحاننا العربية كثيرا من الروح البيظنطية . ويقال إن المرحوم السيد درويش الملحن المعظم كان يختلف كثيرا إلى الكنائس الأرثوذكسية لكى يسمع البصلطيكا اليونانية أى البيظنطية لكى يقتبس منها العبارات الموسيقية الجميلة أو المؤثرة أو الحنونة . وفى أدواره التى سجلها لنفسه فى أقراص الفونغراف كثير من الروح البيظنطية

السلم العربى (والتركى أيضا) أدق السلالم الموسيقية فى كل العالم لما فيه من أنصاف الدرجات وأرباعها ، يقتبس منه العازف بدل درجاته الأصيلة حسب مقتضى اللحن الذى يعزفه

ولإيضاح ذلك نرسم السلم العربى فى درجاته وفروعها (الأنصاف والأرباع) كما ورد فى كتاب الأستاذ فرج الله وردى الذى نحن بصدده صفحة ١٥٣ مع مقارنته بالسلم الأفرنكى

	اهتزازات	ذرات	
دو	١٢٠٠	١٢٠٠	كردان
	١١٥٠	١١٦٧	ماهور
مى	١١٠٠	١١١٠	نم ماهور
	١٠٥٠	١٠٨٦	أوج
	١٠٠٠	٩٩٦	عجم
	٩٥٠٠	٩٧٢	نم عجم
لا	٩٠٠	٩٠٦	حسينى
	٨٥٠	٨٨٢	تلك حصار
	٨٠٠	٨١٦	حصار
	٧٥٠	٧٩٢	نم حصار
صول	٧٠٠	٧٠٢	نوى
	٦٥٠	٦٧٨	تلك حجاز
	٦٠٠	٦١٢	حجاز
	٥٥٠	٥٨٨	نم حجاز
فا	٥٠٠	٤٩٨	جهاركاه
	٤٥٠	٤٧٤	بوسلك
مى	٤٠٠	٤٠٨	نم بوسلك
	٣٥٠	٣٨٢	سيكاه
	٣٠٠	٣١٨	كردى
	٢٥٠	٢٩٤	نم كردى
رى	٢٠٠	٢٠٤	دوكاه
	١٥٠	١٨٠	تلك زركوله
	١٠٠	١١٤	زركوله
	٥٠	٩٠	نم زركوله
دو	الوتر المطلق		رست أورصد

ولا أفهم لماذا لا يكون عدد اهتزازات الدرجة الأولى من السلم الأعلى مضاعف اهتزازات الدرجة الأولى من السلم الأسفل . أعنى أن تكون اهتزازات « دو » العليا (كردان) مضاعف اهتزازات دو السفلى لأن تلك بداية السلم الأعلى . وهى فى الجدول ليست كذلك لأن العليا جواب السفلى وهذه قرارها .

لكن الأمر على خلاف ذلك بل هو بعيد جدا من هذا الظن

وفى كتاب الأستاذ الله وبردى سترون رسما وجدولا للسلالم الموسيقية المختلفة الغربية والشرقية والقديمة والحديثة . وفيه تحقيق علمى للنسب المتصلة الموسيقية وعلاقتها بالأنغام وفيرها حتى إذا طالعتها دهشت لسعة اطلاع المؤلف وسعة تفكيره ودراسته وتحار فى كيفية استيعابه لها، ولا تكاد تصدق أن عقلا واحداً حذق تلك العبارات المختلفة واستخرج تلك الأرقام حتى ليخيل لك أن الموسيقى ضرب من العلوم الرياضية . وإنها لكذلك فى دراسة هذا الكتاب الساحر

الجمال الموسيقى :

ربما كان القسم الرابع من الكتاب أجذب الأقسام لنفس القارئ المحب للفن لأنه تبسط واسع فى الجمال الموسيقى . فأستأذن حضرة المؤلف بكلمة مختصرة أبسط بها ذلك التبسط

قلنا آنفا إن مزية الموسيقى العربية (والتركية أيضا) هى فى أجزاء هذه الدرجات من أنصاف وأرباع لأن لكل لحن طريقة خاصة فى استعمال هذه الأجزاء . مثال ذلك أن العازف الذى يعزف لحن النهاوند يستعمل (راجع الجدول) ثم حجاز بدل جهاركاه، ويستعمل كردى بدل سيكاه ، ثم دوكاه الأصيلة إلى أن يستقر على الرست (وقد أكون مخطئا فى هذا الترتيب) وهكذا لكل لحن استعارات خاصة من الأجزاء . فإذا عزف العازف هكذا ثم عزف على الدرجات الأصيلة جهاركاه سيكاه دوكاه رست شعرت حالا بالفرق فى اللحن لأنه فى هذه الحالة يكون اللحن رستا لا نهاوند . وهكذا يتنوع الألحان العربية بتنوع العزف على الأرباع والأنصاف بدل الدرجات الأصيلة ، وبواسطة هذه الاستعارات يتولد عند العرب عشرات الألحان وهى التى تحكى العواطف الروحية المختلفة . وليس فى الموسيقى الأفرنكية إلا القليل من هذه التنوعات لاستعمال أنصاف الدرجات (أو مايسمونه هكذا وماهو بأنصاف) كما رأيت، ولذلك تعتبر الموسيقى العربية أرقى وأجمل بكثرة التنوعات التى فيها . ولا بدع أن تكون كذلك لأن أقدميتها سقلتها وجعلت التفنن فيها بدائع فنية كل تطور وارتقاء . والموسيقى الأفرنكية بنت الأمس ، ويظن أصحابها أن الاقتصاد فيها على أشباه الأنصاف وتقييدها بالعلامات جعلها فنية راقية ، وعندى أن هذا التقييد جعلها سخيفة فى أذن الشرق . الموسيقى روح لامادة، فيجب أن توضع تحت أمر الأذن (العصب السمعى) كما يفعل العازفون العرب ، فتكون أوقع فى النفس وأكثر اندماجا بالروح وأخلب للب

أما الذين يستحسنون هذه دون تلك أو تلك دون هذه فأوتار أعصابهم السمعية قد تدوزنت على سلالم ألحانهم فصارت تهتز مع اهتزازات موسيقاهم وتنفر من اهتزازات الموسيقى الأجنبية .

فهؤلاء مخطئون فى استهجان موسيقى غيرهم والعكس بالعكس . وإذا كان الشرقى أو الغربى لا يود أن يسمع إلا موسيقاه فلا تلمه إذا قال لك إن موسيقاه أطرب من تلك أو أن الموسيقى الأجنبية أطرب له من موسيقاه لأنه تعود سماع الموسيقى التى تطربه منذ صغره . فهنـــاك أشخاص لا يتذوقون الفن ولا يفهمون أصوله ولا يطربون لأى موسيقى ، فيقولون لك إن الموسيقى الأفرنكية ذات أصول وقواعد وفنون ولذلك يحبونها، والحقيقة أنهم لا يحبون شيئا . ويقولون أيضا إن الموسيقى العربية أو الغناء العربى عار من الأصول والقواعد والأغانى لأن الأغانى كلها فوضى . هؤلاء جهلاء أغبياء جدا وإنما هم يقولون هذا القول لكى يتمسحوا بالأفرنج ويقال عنهم إنهم متمدنون . ولما كان السلم الأفرنكى لا يطابق السلم العربى حتى فى درجاته الأصيلة فيتعذر جدا على العازف أن يعزف لحنا عربيا على آلة أفرنكية مقيدة الدرجات كالبيانو والأرغن وأمثالها . فإذا عزف عازف عليها لحنا عربيا ظهر نافرا حتى إنك لا تستطيع أن تسمعه إذا كنت قد ألفته على الآلة العربية كالعود والكمنجة والقانون . لا تستطيع أن تعزف أذان الصلاة على البيانو أو نحوه وتشمئز إذا سمعته؛ ولكن إذا سمعت الأذان من كمنجة الأستاذ سامى الشوا شعرت أنه ناطق بكلامه

وكانت فتاة لبنانية تدرس موسيقى فى إيطاليا (حسب السلم الأفرنكى طبعا) فغنت مرة سوريين أغنية بسيطة لبنانية على السلم الأفرنكى فلم يطق أحد سماعها لأنها كانت تغنى العربى على السلم الأفرنكى . وهنـــاك أناس يستنكرون تكرار الكلام والتلحين بالغناء العربى . فهؤلاء محقون فى استنكارهم وربما كان

هذا التكرار هو العيب الوحيد في الغناء العربي المصري. والذنب فيه هو ذنب المغنين أنفسهم لا ذنب الملحنين. لأن الملحن قد يكرر عبارة ولكنه لا يكرر لحنها وإنما يلحن لتكراراها لحنا آخر. ومع ذلك لا نعذره كل العذر لأن الشعر عندنا سواء كان معربا أو زجلا غني بالكلام فالمداعي لقضاء نصف ساعة أو أكثر في غناء أغنية كلامها معدود الألفاظ إلا إذا كان الكلام المكرر متنوع الألحان. سمعت مرة في الإذاعة المصرية مغنيا ينشد قصيدة « نالت على يدها ما لم تنله يدي » فقضى حصته في الإذاعة في إنشاد الأربعة الأبيات الأولى وكان يكرر كل بيت منها بكلامه ولحنه مرارا حتى زهقت وأعتقد أن جميع السامعين زهقوا أيضا. والقصيدة تشتمل على أكثر من عشرة أبيات فكان في وسعه أن ينشدها كلها وأن يتفنن في ألحانها أو أن يعتمد على ملحن خاص يلحنها له

الموسيقى والشعر :

وربما كان الشعر العربي يمتاز على أشعار معظم الأمم الأخرى ولاسيما الأفرنكية لأنه موزون وذو مقاطع معدودة ومحدودة في كل بحر من بحوره. ووزن الشعر العربي يتفق مع الألحان الموسيقية اتفاقا طبيعيا لأن الشعر موسيقى والموسيقى شعر. ولهذا أفرد الأستاذ الله ويردي قسما من كتابه العجيب فصلا خاصا مطولا للعروض. بحث فيه بحثا فلسفيا تم عمليا مستفيضا وضبط جميع الأوزان العروضية وتفصيلاتها وشرح قواعدها شرحا علميا عجيبا. فننصح لمن يريدون درس العروض أن يطلعوا على الفصل السادس من الكتاب في التوزين والإيقاع بل أن يدرسوه درسا

بقيت لي ملاحظة طفيلية أرجو أن يتفضل بها لي حضرة الأستاذ المؤلف وهي أنه ورد في مباحث الكتاب بعض اصطلاحات خاصة بالموسيقى. مثل ذرة وكوما وليما وبعد طبيعي وبعد طنيني وجناحان إلى غير ذلك مما هو من خصائص العلم الموسيقي وهي غير مفسرة في الكتاب التفسير الذي يحتاج إليه الدارس. وكان جديرا بحضرة الأستاذ أن يضع لهذه الكلمات معجما في آخر الكتاب أو في أوله مستوفى الشرح يرجع إليه الدارس كلما وردت أمامه كلمة منها إلى أن يستوعبها تماما. وحبذا لو كان يضع الموسيقى كتابا تعليميا مدرسيا يفصل فيه جداول الأرقام للطلبة الذين يريدون أن يتعلموا الفن حسب الأصول والقواعد

وأخيرا إني متعجب جدا من جلد الأستاذ ومقدرته على إزكان هذا الفن من الناحية العلمية ولا سيما النسب الرياضية وغيرها، ولا أظن أحداً غيره درس هذه الدراسة المستفيضة

حقا أنه يستحق جائزة نوبل إذا أمكن أعضاء لجنة نوبل الاطلاع على ترجمة هذا الكتاب

فتوح الحراوي

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل عرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة، والعلاقة بين الطبع والصنعة، وحد البلاغة، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق، والأسلوب، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه، ودعاة العامية، ودعاة الرمزية، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد